بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله كما يحب أن يُحمَد ، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خير رسولٍ أُرسِلَ بأسمى رسالة أُنزِلت .

وأترضّى عن الآل والأصحاب والمستقيمين على نهج الهدى ، وسنن الرسالة المحمدية الغراء .

وبعد :

وسط تقلبات الأمواج الفكرية العاتية ، ومن بين تزاحم الشباب المسلم اليوم على شتى الثقافات والإيديولوجيات والعقائد والنظم ، ينفرد الأخ الكاتب الطبيب نضال عيسى عن إيقاعات الأقران ، ليختطَّ منهجاً متميزاً في الفكر والعقيدة والسلوك ، يسكبها جميعاً في كتابه «ماذا عن الإسلام» .

إنه انتخالٌ دقيق لمفرزات الفكر الإسلامي المعاصر ، أو هو تخيُّرٌ ذكي لأبرز الأفكار الإنسانية التي تطفو على السطح ، فتحدث ارتسامات كبيرة في عقول شباب المسلمين .

راح الأخ الشاب الطبيب «نضال» يعالجها بقلم رشيق ، وأسلوب ماتع ، وفكر شبابي وثاب ، يقدمها إلى لداته أولاً ، وإلى الجمهور المثقف ثانياً .

وهو لم يكن يدّعي أنه خاض المعمعة ، وجلّى الغُمة ، وإنما حسبه أنه اقتطع من نفسه شريحة أجرى عليها تجاربه ، فإذا التجارب تؤدي إلى نتائج قيمة زادت رؤياه وضوحاً ، ونفسه طمأنينة ، وعقيدته ثباتاً ، وإسلامه تألقاً واعتزازاً . ولعل في ذلك ما يبعث شباب هذه الأمة إلى ما انبعثت نفسه إليه ، فيختصر لهم زمان التردد ، ويوفِّر لهم طاقة الأعصاب وسلامة الطوية .

فإلى المضامين الأكثر حساسية في المعالجة المعاصرة أحيلك ـ أيها القارئ الكريم ـ في هذا الكتاب ، فهي بين يديك : الإسلام والحضارة، والعقل، والعلم، والأخلاق، والمرأة، والاقتصاد. . فجزى الله الكاتب خير الجزاء ، ووفقنا جميعاً لتأدية ما علينا من أقساط مستحقة تجاه رسالتنا الإسلامية الخالدة .

الدكتور
أحمد الموسى

obeikandl.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الإسلام دين عظيم ، ورباط متين ، فهو ليس عبارة عن صيام وصلاة وقيام بمناسك الحج ، والتزامٍ بدور العبادة ، وتهذيب النفوس وتحسين الأخلاق ، فحسب ، وما إلى ذلك من هذه الالتزامات التي يحلو للمستعمرين والغافلين في كل زمان ومكان ، في الشرق والغرب ، أن يدندنوا بها ويصوّروها للآخرين ، مغفلين أهمية الدين الإسلامي كنظام اجتماعي واقتصادي وسياسي كامل ، فالدين ليس داعياً للتخلف والجمود ، والدين ليس داعياً لتعليق الأبصار بالسماء ، والاستكانة ، والرضا والخنوع كما تصوره وسائل الإعلام المغرضة في العصر الحاضر .

إن الإسلام نسيج وحده ، فهو ليس مجرد عقيدة ، أو تربية للفضائل ، أو تهذيب للروح ، بل هو علاوةً على ذلك نظام اقتصادي ، واجتماعي عادل متوازن ، وتشريع لمختلف نواحي الحياة ، مع توجيه الفكر ، وتربية البدن ، وكل ذلك يقوم على أساس العقيدة الصحيحة .

والإسلام يملك من مُقوِّمات الحياة ما لا يملكه نظام آخر عرفه الناس ، على مرِّ العصور ، وهو لم يستنفد أغراضه ، بل جاء

للتحرير . . . لتحرير الإنسان من بني الإنسان ، ومن العبودية ، ومن الطغيان ، ومن كل سلطان على الأرض ، ويسعى لقيادة البشرية في سبيل الخير والحق والصواب .

فالإسلام كان منذ بداياته دعوةً إلى التقدم والعلم ، فقد بدأ بالأمر الإلهي ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ ، وهذه الكلمة التي ربما يمر بها بعضهم مرور الكرام ، دون إعطائها ذاك الاهتمام المطلوب ، فهذه الكلمة ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ إنما هي تلخيص لنظام كاملٍ آتٍ فيما بعد ، نظام داع إلى التخلص من التبعية ، والابتعاد عن التقليد الأعمى ، ولا يتم ذلك إلا بالقراءة والاطلاع وطلب المعرفة .

لماذا ؟

لأن الإنسان عندما يبدأ بالقراءة ويطّلع على ثقافات الآخرين ، سوف يفكر في هذه الصور التي تمر بعقله وذهنه ، وهو عندما يفكر يبدأ بالشك ، وعندما يبدأ بالشك يكون قد وضع رجله على أول الطريق إلى الحقيقة ، والطريق إلى التمييز بين الأسود والأبيض ، وهكذا يبدأ التفكير .

وعندها يكون أمام القارئ متسع من الوقت لكي يختار العقيدة الصحيحة ، والمذهب الفكري الأسلم ، والأكثر قرباً من الحق والحقيقة .

ومن هنا كان قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] بمعناها الواسع ، والأشمل ، لأن لكل عاقل عقل يميز به الصالح من الطالح ، والخطأ من الصواب ، ويتجه كلٌّ نحو الهدف الذي يراه

مناسباً ، وفقاً لمقاييس صحيحة ودقيقة . . وهذا الفهم قد أدركه صحابة الرسول ﷺ ، بشكل أو بآخر ، فساروا إلى هدف نبيل ، تحملوا من أجله وفي سبيله الآلام الجسام ، وهم يغالبون هذه الآلام بقوةٍ استمدوها من الدين الحنيف ، ومن فهمهم لهذا الدين ، الذي أمد الحفاة العراة من بدو الصحراء بالمؤهلات التي جعلتهم يسيطرون على العالم ، وتدين لهم الأرض من المشارق والمغارب . . وما أحوجنا اليوم إلى فهمٍ جديد صحيح لهذا الدين ، لننتبه من غفلتنا ، ونعيد للدين الإسلامي مجده الذي ولّى لكي ننهض من جديد ؛ بحضارة تنسجم مع متطلبات عصرنا ، دون التخلي عن مبادئنا العقائدية .

ولننبذ الجهل والتبعية ، ولنتبع الأمر الإلهي ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ ، لكي نعي حركة أولئك الداعين إلى الإلحاد ونبذ الدين ؛ الذي هو سبب التخلف ـ برأيهم ـ وهذا الوعي والفهم الجديد هو الذي سيكون المنطلق إلى الحضارة الجديدة .

وفي هذا الكتاب سأحاول أن أضع بعض الملامح المهمة لموقف الدين من بعض الأمور ، التي يهاجم بها أعداء الإسلام هذا الدين .

فنتحدث عن موقف الدين من العقل ، والعلم ، والمرأة ، والأخلاق ، والاقتصاد ، معتمدين على آراء عددٍ من المفكرين من مختلف الأصناف والمدارس .

فمجتمعاتنا ، بل المجتمعات كلها ، لا تخلو من أناس عرفوا الحقيقة بعد أن بذلوا الجهود المضنية للوصول إليها ، من أناس ذوي

أفكار نيّرة متحررة ، وذوي طريقة منصفة عادلة .

وهذه الأفكار التي سترد لاحقاً ، إنما هي دعوة بسيطة لشبابنا ليتيقظوا ويعيدوا الأمجاد الغابرة لأمتهم ، ليسودوا العالم من جديد ، فالتاريخ لا بد أنه سيعيد نفسه ، لأن التاريخ يخضع لمبدأ الدورة الخالدة .

فعندما تتحقق الظروف المطابقة للقرآن الكريم ، بالفهم الصحيح لمقومات الحضارة ، وقبل كل ذلك بفهم النفس الإنسانية .

عندما يتحقق ذلك سوف يعيد التاريخ نفسه ، ويتحقق مبدأ الدورة الخالدة ، أي وباختصار : عندما نفهم قول الله عز وجل : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] ونتبعها بالفهم السوي للقاعدة القرآنية التاريخية ، أو المقوّم التاريخي الأول لقيام الحضارة . بيد أهم عنصر فيها ، وهو الإنسان : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] وبهذا الفهم الجيّد ، الجديد ، نعود كما وصفنا الخالق سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ولكن متى ستكون هذه العودة ؟

عندما نعود ونحتكم إلى كتاب الله عز وجل ونعود إلى إحياء سنة رسول الله ﷺ وذلك تنفيذاً لأمر الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن

﴿كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩] .

وعندما نستعرض التاريخ ، ونستفيد من قصصه ، ونعتبر منها . . كي لا نقع في الخطأ مرتين : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف : ١١١] .

فهل نعتبر . . ؟! .

ثم إن دين الله تعالى يُقدِّم التفسير الشامل الكامل للحياة والأحياء والكون ، ويحدد العلاقة بين العبد وخالقه العظيم ، ويدل على غاية الوجود الإنساني ، وكل ذلك لا يصادم الفطرة ؛ لأن دين الله يقدم الأساس التصوري الاعتقادي ؛ الذي يقوم عليه نظام الحياة العملية والوجدانية .

وهذا الدين الحنيف إنما جاء ليُحقَّق في الواقع ، وليجري فيه الناسُ نشاطهم الحيوي ، ليتحول الدين إلى سلوك مُعاش ، لا مجرد أحوال شخصية في جانب واحد من حياتهم . قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء : ٦٤] .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزِدْنا علماً يا أرحم الراحمين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدكتور

نضال عيسى